فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالي من خوى المنزل
اذا خلى من اهله وخوى بطن الحامل تنبيه قوله على عروشها لا يخلو ان يتعلق
بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على عروشها سقوفها اي تقصفت الاخشاب
اولا من كثرة الامطار وغير ذلك من الاشرار فسقطت ثم سقط عليها الجدران
فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها واما ان يكون
خبرا بعد خبر كانه قيل وهي خاوية وهي على عروشها اي قائمة مطلة على عروشها
على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان مائلة فهي
مشرفة على السقوف الساقطة وقوله فهي خاوية جملة معطوفة على
اهلكناها لا على وهي ظالمة فانها حال كما قدرته والاهلاك ليس حال خرابها
فلا محل لها ان نصبت كأين بمقدر يفسره اهلكناها لانها معطوفة على جملة
اهلكناها كما مر وهي مفسرة لا محل لها وان رفعت كأين بالابتداء فمحلها رفع
خبرا ثانيا لكأين والخبر الاول اهلكناها وكم من بئر معطلة اي متروكة
بموت اهلها وقصر مشيد اي رفيع خال بموت اهله تنبيه علم مما قدرته
ان بئر معطوف على قرية وهو يقوي ان على عروشها بمعنى مع اوجه وروي ان
هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة الاف نفر ممن امن به ونجاهم الله تعالى
من العذاب وهم بحضرموت وانما سميت به لان صالحا حين حضرها مات
وثم بلدة عند البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس
بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله تعالى
اليهم حنظلة بن صفوان فقتلوه فاهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرب
قصورهم وقوله تعالى افلم يسيروا اي كفار مكة في الارض يحتمل انهم
لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله تعالى بكفرهم
ويشاهدوا اثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا وارادوا ذلك ولكن
لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا فتكون اي فتتسبب عن سيرهم
ان يكون لهم قلوب واعية يعقلون بها ما رأوه بابصارهم مما نزل بالمكذبين
قبلهم او اي او يكون لهم ان كان عمي الابصار كما دل عليه جعل هذا قسيما
اذان يسمعون بها اخبارهم بالاهلاك وخراب الديار فيعتبروا فانها اي
القصة لا تعمى الابصار ويجوز ان يكون الضمير مبهما تفسره الابصار
وفي تعمى راجع اليه والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى فيها وانما العمى
بقلوبهم كما قال تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا يعتد
بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب فان قيل اي فائدة
في ذكر الصدور اجيب بان الذي تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه
البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة
ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة

ونفيه

ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر
ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك
الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانك وتثبيت لان
محل المضاء هو لا غير فكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك
فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا قيل لما نزل قوله تعالى
ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا
في الدنيا اعمى افاكون في الاخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب الذي
توعدتهم به تكذيبا واستهزاء والحال انه لن يخلف الله اي الذي لا كفؤ له وعده
لامتناع الخلف في خبره سبحانه وتعالى فيصيبهم ما وعدهم به ولو بعد حين
لكنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة وقد انجزه يوم بدر وان يوما عند ربك
اي المحسن اليك بتأخير العذاب عنهم اكراما لك من ايام الاخرة بالعذاب
كألف سنة مما تعدون في الدنيا وطول ايامه حقيقة او من حيث
ان ايام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على الغيبة
والباقون بالتاء على الخطاب وكأين من قرية امليت لها اي امهلتها كما امهلتكم وهي
ظالمة كظلمكم بالاستعجال وغيره ثم اخذتها اي بالعذاب والمراد اهلها والي
المصير اي المرجع فيبطل كل حكم دون حكمي ففيه وعيد وتهديد فان قيل
لم قال فكأين من قرية اهلكناها بالفاء وقال هنا بالواو اجيب بان الاولى
وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين
المعطوفتين بالواو واعني قوله تعالى ولن يخلف الله وعده وان يوما عند
ربك كألف سنة مما تعدون ولما كان الاستعجال لا يطلب من الرسول
وانما يطلب من المرسل امر الله تعالى بان يديم لهم التخويف والانذار بقوله
تعالى قل اي لهم ولا يصدنك عن دعائهم ما اخبرناك به عنهم من عملهم
يا ايها الناس اي جميعا من قومك وغيرهم انما انا لكم نذير مبين اي بين
الانذار والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان
صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم بقوله
فالذين امنوا اي اقروا بالايمان وعملوا اي تصديقا لدعواهم لذلك
الصالحات لهم مغفرة لما فرط منهم ورزق اي في الدنيا بالغنائم
وغيرها وفي الاخرة بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر كريم اي لا خسة فيه ولا دناءة بانقطاع ولا غيره زيادة في
غيظهم ولما كان في سياق الانذار قال معبرا بالماضي زيادة في التخويف
والذين سعوا اي اوقعوا السعي ولو مرة واحدة في اياتنا اي القرآن
بابطالها معجزين من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم اي ينسبونهم الى العجز
ويثبطونهم عن الايمان او مقدرين عجزنا عنهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو

Copyright © King Saud University